الرسالة

(رومية ١٣:١١–١٤؛ ١٤: ١–٤)

يا إخوةُ إنَّ خلاصَنا الآنَ أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا* قد تناهى الليلُ واقتربَ النهارُ فلنَدَعْ عنَّا أعمالَ الظُلمةِ ونلبسْ أسلِحَةَ النور* لنَسلُكَنَّ سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقُصوفِ والسُكرِ ولا بالمضاجعِ والعَهَرِ ولا بالخِصامِ والحَسد* بل البسوا الربَّ يسوعَ المسيح ولا تهتمُّوا بأجسادِكم لقَضاءِ شَهواتِها* مَن كانَ ضعيفاً في الإيمانِ فاتَّخِذوهُ بغيرِ مباحثةٍ في الآراء* مِنَ الناسِ مَن يعتقِدُ أنَّ لهُ أن يأكُلَ كُلَّ شيءٍ. أمَّا الضَّعيفُ فيأكُلُ بُقولاً* فلا يَزدَرِ الذي يأكُلُ من لا يأكُلُ ولا يدِن الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قدِ اتَّخذهُ* مَن أنتَ يا مَن تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّهُ لِمولاهُ يثبُتُ أو يَسقُطُ. لكنَّهُ سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُثبِّتَهُ.

الإنضباط

غداً ندخل حلبةَ الجهاد المبارك، أعني الصوم الكبير المقدس. والصوم في مفهومه الروحي يشكّل معبراً للخروج من الذات وحاجاتها، والتفلّت من قيود أنانيتنا للانطلاق نحو محبة الله والقريب المخلوق على صورته. ليس الصوم فضيلة بحدّ ذاته، لكنه وسيلة تساعدنا على اكتساب الفضائل. مهما سمعنا أو قرأنا عن الصوم لن نكتشف معانيه وفوائده إن لم نختبر بأنفسنا ما معنى الصوم كجهاد روحي يقرّبنا الى الله وليس كمجرد تغيير في نظامنا الغذائي.

في اللغة اليونانية توجد كلمتان تشيران الى الصوم، واحدة (νηστεια) تُترجم بكلمة الصوم وأُخرى (εγκρατεια) تترجَم بكلمة الإمساك أو الانضباط. إذا انتبهنا أكثر الى الكلمة الثانية فهي تشير الى أن الصوم في جوهره هو أن يتمكن الإنسان من أن يمسكَ نفسه أو يضبطها، وبالتالي أن يسود على أهوائه ورغباته، أن يروّضها. لا يهدف الصوم الى تعذيب الإنسان، بل الى تدريبه على الإمساك والانضباط. لذلك نقبل الصوم بفرح لا بحزن، فصومنا يخيف ويحزن أعداءنا، أي الشياطين، لأنه عندما يترافق مع الصلاة فهو يفقد الشيطان سلطته على البشر حسب قول الرب يسوع: «أما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم» (مت ١٧: ٢١). وفي المقابل هو مصدر فرح لنا كونه يشكّل معبراً روحياً نسلكه نحو الملكوت.

العدد ٨/٢٠١٥

الأحد ٢٢ شباط

أحد مرفع الجبن

وجود عظام شهداء أفجانيوس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الرابع

نحن نجاهد لنشارك في ملكوت الله، ولذلك يوصينا بولس الرسول قائلاً: «كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء» (١ كور ٩: ٢٥). لقد فقد جدُّنا آدم الفردوس بسبب رفضه للصوم، فالوصية الأولى والوحيدة كانت تقضي بالامتناع عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٢: ١٦–١٧). لم يستطع أن يضبط نفسه ليعمل ما يريده الله بل قام بما يبعده عن الله فكان ان حكم على نفسه وطُرد من الفردوس. مهمٌ جداً أن نعي أن الإنسان هو الذي جلب على نفسه الحكم. هذا كان في البدء، أما الآن فيسأل البعض لماذا علينا أن نمارس الانضباط بعد أن جاء المسيح وخلّصنا؟ فعل الإمساك أو الانضباط قد يَظهر كأنه أمرٌ سلبي إذا نظرنا إليه على انه قصاص، إلا إذا اعتبرنا الإمساك وسيلة روحية لتهذيب ذواتنا.

في الواقع يحتاج المريض الى دواء، وأحياناً يكون طعم الدواء مراً بعض الشيء، لكن هذا لا يمنعنا من تناول الدواء لأننا نبتغي الشفاء، إلا إن قلتُ إنني أفضّل المرضَ والموتَ الذي ينتج عنه على تناول الدواء. لقد أصبحنا مرضى الخطايا وعلاجُها هو الصوم. تُسمى فترة الصوم الكبير زمن التوبة لأن الإمساك عن الطعام والرغبات يهدف الى تعليمنا كيف نمسك ذواتنا عن الخطايا والى لفت انتباهنا الى الآخر المحتاج. من خلال الصوم نتعلّم أننا نستطيع أن نستغني عن أمور كثيرة قد نعتبرها ضروريةً ونختبر يومياً قول الرب يسوع: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤: ٤).

إذا افتكرنا بالجيوش القوية، قد نتساءل لماذا يتدرّب الجنود على الانضباط؟ إن الانضباط يجعل الإنسان مستعداً ومتأهّباً في أي وقت، والتأهّب يجعل الإنسانَ يقظاً لما يدور حوله وليسمع ماذا سيُطلب منه فينفّذه على الفور. على نحو مماثل يجعلنا الصوم نتأهب لعمل مشيئة الله ويمنحنا يقظةً. في الحرب الروحية غير المنظورة التي يشنها علينا الشيطان، إن لم نكن متأهبين ويقظين سنقع بسهولة في فخاخ العدو كما حصل مع آدم وحواء. الإنسان المنضبط ينتبه بسرعة لما يجري حوله، فيما غير المنضبط يتلهى بأمور كثيرة مما يجعله قليل الانتباه. في القداس الإلهي، كثيراً ما نسمع الكاهن يدعو المؤمنين في القداس «لنصغِ»، وذلك قبل قراءة الإنجيل وعند الدخول الصغير. كما يدعونا في الكلام الجوهري وبعد تلاوة دستور الإيمان «لنقف حسناً، لنقف بخوفٍ، لنصغِ، لنقدِّم بسلامٍ القربان المقدس»، أي لنقف باستعداد وانتباه وانضباط لأننا مقتربون من لحظة استدعاء الروح القدس على القرابين. وعلى إثر استدعاء الروح القدس على الخبز والخمر ليحوّلهما الى جسد ودم الرب يقول: «لكي يكونا لانتباه النفس ومغفرة الخطايا وشركة الروح القدس وكمال ملكوت السموات والدالة لديك لا لمحاكمة ولا لدينونة». أول ما نبتغيه هو انتباه النفس، فبدون هذه اليقظة المباركة نفقد بسهولة كلّ الأمور الأخرى.

ألا أهّلنا الله مع انطلاقة هذا الصوم المبارك، أن نجاهد الجهاد الحسن، فنقرن صومنا عن الطعام بالمشاركة الكثيفة في الصلوات وبضبط النفس، فنتيّقظ لتجارب الشرير لنتجنّبها ونتيّقظ لحاجات الآخر لنؤمّنها. فلنتذكر دائماً وفي هذا اليوم بالذات الذي هو أحد الغفران، أننا إن كنا نصوم ليغفرَ اللهُ لنا فهو وضع شرطاً لنوال الغفران أن نغفر للناس زلّاتهم. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «ما من شيء يجعلنا نشبه الله سوى استعدادنا لمسامحة الأشرار والأثمة، فالله يشرق شمسه على الأبرار والأشرار». عندما نغفر للآخرين، تلمعُ فينا صورةُ الله من جديد، وتتجدد إمكانية عيشنا باتّحاد مع الله والقريب كما كنا عائشين في الفردوس قبل الخطيئة التي شرذمتنا.

جرأة السامرية

تعيّد الكنيسة المقدّسة في ٢٦ شباط للقدّيسة فوتيني السامريّة. هي المرأة التي التقاها الرب يسوع عند بئر يعقوب قرب بلدة سوخار، وينفرد الإنجيلي يوحنا (الإصحاح الرابع) بنقل هذه الرواية لنا. رغم أنّ

الإنجيل

(متى ٦: ١٤–٢١)

قال الربُّ إن غفَرتُم للناس زلّاتِهم يغفِرْ لكم أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفِروا للناسِ زلاَّتِهم فأبوكم أيضاً لا يغفِرُ لكم زلّاتِكم* ومتى صُمتم فلا تكونوا مُعبّسين كالمرائين. فإنَّهم يُنَكّرون وجوهَهم ليظهروا للناس صائمين. الحقَّ أقولُ لكم إنَّهم قد أخذوا أجْرَهم* أمَّا أنتَ فإذا صُمتَ فادهَنْ رأسَكَ واغسِل وجْهَك لئلَّا تظهرَ للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخِفْية. وأبوك الذي يرى في الخِفْيةِ يُجازيكَ علانيةً* لا تكْنِزوا لكم كُنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوسُ والآكِلَةُ ويَنْقُبُ السارقون ويسرِقون* لكن اكنِزوا لكم كنوزاً في السماءِ حيث لا يُفسِدُ سوسٌ ولا آكِلةٌ ولا يَنْقُبُ السارقون ويسرقون* لأنَّهُ حيث تكون كُنوزُكم هناك تكونُ قلوبُكم.

تأمل

عندما تصوم وتغتذي بالإمساك، لا تخزّن للغد،

بل كما افتقر الربّ لكي يُغنينا هكذا أنت صمْ بإرادتك لكي تعولَ الجائع بغير إرادته. عندها ستكون كالحمام الذي يجلب غصن الزيتون ويبشّرك بالخلاص من الطوفان.

«إن أزلتَ من وسطك النير والإشارة بالإصبع والنطق بالباطل، إذا أبرزتَ نفسك للجائع وأشبعتَ النفس الذليلة المعنّاة، يُشرق نورك في الظلمة ويكون ديجورك كالظهر» (إش ٥٨: ٩-١٠).

إن لم تُرد أن تعطي من مالك، فعلى الأقلّ ابتعد عن مال القريب ولا تحتلّ أشياء لا تخصّك خاطفاً ومخزّناً في بعض الأحيان حتى من الفقراء ظلماً لئلا تسمع صوت النبيّ الصارخ بعدل: «أهكذا يكون الصوم الذي آثرته... أإذا حنى رأسه كالبردي وافترش المسحَ والرماد، تسمّي ذلك صوماً؟ بل هو حلّ قيود النفاق وفكّ ربط النير وإطلاق المضبوطين أحراراً. أليس هو أن تكسر للجائع خبزك، وأن تُدخل البائسين المطرودين بيتك وإذا رأيت العريان أن تكسوه، وأن لا تتوارى عن لحمك؟ حينئذ ينبلج كالصبح نورك، وتزهر عافيتك سريعاً، ويسير برّك أمامك، ومجد الربّ يجمع شملك» (إش ٥٨: ٥-٨).

إن لم تعطِ الفقير من مالك وخصوصاً ممّا يفيض عنك، فعلى الأقلّ لا تكسب على حسابه. إن كان الإنجيلي لا يذكر إسم المرأة السامريّة إلاّ أنّ التقليد الأرثوذكسي يدعوها فوتيني أي منيرة لأنّها أنارت أذهان الكثيرين وأرشدتهم إلى المسيّا المنتظر، إلى الرب يسوع. وقد وضعت الكنيسة هذه القدّيسة في مصاف الرسل لأنّها أوّل من بشّر بالرب يسوع علانيةً في حين كان الرسل ما زالوا مجرّد تلاميذ يتبعون الرب ويسمعون كلامه.

نتعلّم من السامريّة الجرأة، فقد تحلّت بجرأة كبيرة في حوارها مع الرب. كان لها جرأة الإيمان وجرأة البشارة. البشارة مرتبطة بالإيمان لأنها تفترض الإيمان الثابت في المبشِّر، إلاّ أنّ وجود الإيمان لا يفترض البشارة وإنّما قد يحتفظ المرء بإيمانه لنفسه.

جرأة الإيمان عند السامريّة تتمثّل في أسئلتها المرتبطة بالإيمان الموروث عن الأجداد. لقد وجدت شيئاً غريباً عند مُحاورها، الرب يسوع، شعرت بأنّ هذا الإنسان يختلف عن الآخرين ليس لمجرّد أنه كسر قاعدة عدم اختلاط اليهود بالسامريّين وحسب بل لأنّه كشف لها أيضاً أحداث حياتها فلم تتوانَ عن اعتباره نبيّاً. تجرّأت السامريّة وأخبرت الرب أن لا زوج لها معترفةً بذلك أنّها تعيش مع رجلٍ دون رابط زواج. تجرّأت السامريّة وأخذت تغوص في مواضيع إيمانيّة هامّة. ليس البحث شكّاً وإنّما سبرٌ لغور الأمور. حين شعرت السامريّة بأنّها أمام حقائق إيمانيّة، تركت الإهتمامات الدنيويّة، غير مفتكرةٍ بالماء الذي كانت مزمعة أن تحصل عليه، وأخذت تبحث مواضيع الإيمان. إنّه لمن الطبيعي أن يفكّر الإنسان في إيمانه ويبحث في ثناياه ليتقوّى ويبني إيمانه على أسس متينة وصلبة. اليوم في ظلّ التطوّر الذي يشهده هذا العصر وفي ظلّ الوسائل الإلكترونيّة التي قد تشتّت الإنسان في كلّ لحظةٍ وقد تسيطر على نمط حياته، نرى أناساً يقفون عند حدود الشكّ والتساؤلات. يطلق البعض مواقف ونظريّات حول الإيمان من منظارهم السطحي دون الغوص في بحثٍ دقيق في محاولة لمعرفة حقيقة الإيمان. للأسف ينجرف خلف هؤلاء بعض الشبّان المتحمّسين للتحرّر والحريّة وغيرها من الشعارات التي يقودها الفكر التحرّري المعاصر. إنقلبت المقاييس في عصرنا من جرأة الإيمان إلى تجرّوء على رفض الإيمان ونكران ما قد عاينته الأعين عبر التاريخ. بدل أن يتجرّأ بعض المدّعين الموضوعية العلميّة على البحث في المواضيع الإيمانيّة، نجدهم ينظرون الأمور من علياء تبعدهم عن عمق الحقيقة. السامريّة كانت مؤمنة وتجرّأت بتواضعٍ، تواضع الإعتراف بالحياة التي تخالف الشريعة والتي كانت تعيشها. هذا التواضع قادها إلى علياء الإيمان، إلى الإيمان بالرب يسوع بأنّه هو المسيّا المنتظر.

جرأة البشارة تلت إيمان السامريّة. المرأة التي كانت تتحاشى الناس ربّما بسبب عيشها بخلاف الشريعة كما سبق وذكرنا، إنطلقت بين الناس تبشّر. لم يجرؤ أحدٌ قبل السامريّة على المجاهرة بأنّ المسيح هو المسيّا ولم يبشّر أحدٌ قبلها بذلك. لم يكن الروح القدس قد حلّ عليها كما حصل في العنصرة مع التلاميذ، إلاّ أنّها انطلقت مخبرةً بأنّها وجدت المسيح. كان يمكن للسامريّة أن تخاف من ردّة فعل الناس، أو أن تخاف من المجاهرة بأمور إيمانيّة

أمام الناس، هي التي لم تذهب إلى البئر في الوقت الذي يذهب فيه الناس عادةً بل اختارت الوقت الذي لا يمكن أن يكون أحدٌ فيه هناك، وقت الظهيرة. بعد اعترافها بخطاياها كمن يمارس سرّ التوبة والإعتراف، وإذ أدركت الحقائق الإيمانيّة، إنطلقت المبشّرة الأولى بين أهل السامرة تبشّرهم بأنّ رأت يهوديّاً ليس هو عدوّاً لهم بل هو المسيّا المنتظر. جرأةٌ كهذه تكاد تكون نادرةً في أيّامنا. إذا ما نظر كلٌّ منّا إلى ذاته يجد أنّه لا يشابه هذه المرأة بل أنّه يفتقد إلى جرأتها. بسبب التأثيرات الفكريّة والسياسيّة والإجتماعيّة بالكاد يتمكّن إنسان اليوم من المحافظة على إيمانه لا بل يسعى كثيرون إلى التحرّر من هذا الإيمان. نجد اليوم جرأةً في المجاهرة برفض الإيمان محوّلين إيّاه إلى مجموعة قوانين وأحكام وجب الرزوح تحت وطأتها. هذا وليد التيّارات الفكريّة التحرّريّة وقد تعاظم لدرجة أنّنا في بعض الأحيان نشعر بأن أبناء الإيمان يخجلون بإيمانهم وقد يخجلون من عدم انفلاتهم نحو حريّة مزيّفة. موضوع الجرأة تغيّر كثيراً ولسنا هنا بمعمّمين وشاملين لكلّ الفئات والمجتمعات، إلاّ أنّ الجرأة اليوم غالباً ما تتمحور حول التحرّر من الماضي والقيام بما هو ممنوع، دون تفكير. نفتقر اليوم إلى جرأةٍ تلعب دوراً فعّالاً في المجتمعات، جرأة تعيد حضور الإيمان في المجتمع. الخوف مرافقٌ لطبيعة الإنسان وهو أمرٌ لا مفرّ منه إذ نحن مرتبطون بهذا الجسد. ولكن حتّى في المغامرات الطائشة يغلّب الشباب الجرأة على الخوف. الحريّ بنا فيما يختصّ بالإيمان أن نغلّب الجرأة على الخوف.

لطالما تحلّى أبناء الكنيسة بجرأة الإيمان والبشارة. في أحلك الظروف وخلال أشدّ الإضطهادات أقدم قدّيسونا بجرأةٍ إلى الموت وتجاسر آخرون على المجاهرة بإيمانهم فحوّلوا الوثنيّين إلى الإيمان بموت المسيح وقيامته.

من أقوال الآباء

كل فكر صالح يحلّ في القلب هو من النعمة الإلهية، وكل فكر رديء يدنو من النفس تكون بغيته التجربة والإمتحان. إذا توصّل الإنسان إلى معرفة ضعفه يكون قد بلغ كمال التواضع. إن ما يجعل مواهب الله تتدفق على الإنسان هو القلب المتحرك بالشكر بلا انقطاع، أمّا ما يسلط التجربة على النفس فهو روح التذمر المتحرك في القلب بصورة دائمة. إن الله يحتمل كل ضعفات الناس، لكنه لا يحتمل الذي يتذمر باستمرار، ولا يكتفي بذلك بل يؤدّبه أيضاً. النفس البعيدة عن إشراقات المعرفة تكون أسيرة هذه الأفكار. الفم الشكور ينال بركة من الله والنعمة تملأ القلب المثابر على الشكر. فقبل النعمة التواضع، وقبل التأديب الكبرياء.

قلب الإنسان البعيد عن كل ذكر إلهي مليء بالحقد على قريبه، أمّا الذي يهذ بذكر الله فإنه يكرّم جميع الناس ويجد بمعونة الله عوناً له عند الجميع سرّياً.

القديس إسحق السرياني

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

المسيح، سيّد الكلّ، يرسل الذين عن يساره، الملاعين، إلى النار الأبدية، إلاّ أنّه لم يحكم عليهم كخاطفين بل لأنهم لم يُسعفوا المُعوزين. لذلك لن يقف الخاطفون والظالمون حتى للمحاكمة والدينونة بل سوف يذهبون للحال محكوماً عليهم ومدانين لأنهم، كما يبدو من الكتاب، لم يمثلوا أمام الله في حياتهم أي لم يلتجئوا إليه. يقول: «الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز والرب لم يدعوا» (مز ١٤: ٤).

سوف يُحكم بعدل على الغني الذي أخصبت أرضه (لو١٢: ١٦) وعلى اللابس الأرجوان والبزّ (لو١٦: ١٩)، ليس لأنهما ظلما أحداً، بل لأنهما لم يشاركا الآخرين بما حصلا عليه، فالمخزون مشترك من خزائن الخليقة الإلهيّة المشتركة. كيف لا يُحسَب جشعاً مَن يُغلِق على المال المشترك حتى وإن لم يكن من أولئك الذين يخطفون علناً ما ليس لهم.

سيُفصل الأول كعبدٍ شرير، أما الثاني، أي الظالم، فسيلاقي الحكم الأشنع والأرهب، ولا أحد منهما يستطيع الهرب. سيحصل هذا إذا لم يُنصف الأول الفقراء معاملاً إيّاهم بالحسنى، وإذا لم يوزّع الآخر حسناً ما قد جمعه بغشّ.

القديس غريغوريوس بالاماس